الفصل الثالث

تفسير الاحلام

أولا : الأسس العامة :

اتضح لنا مما سبق بشكل جلى أن الاحلام ظاهرة معروفة فى ثقافات كل الشعوب العالم • والمصريون لا يختلفون فى ذلك عن سائر شعوب العالم ، فهم يؤمنون بتلك الرحلات التى تقوم بها الروح أثناء النوم • ولذلك كانت الاحلام بمثابة اتصال مع الارواح (أو الكائنات الروحية) ، سواء أرواح الموتى أو الارواح المتجولة لرجال ونساء آخرين • ومن ثم تعتبر الاحداث التى تقع فى الاحلام بمثابة مؤشرات تنبىء بما سيقع فى المستقبل ، لانها تعبر عن رغبات الموتى الاقوياء • ومن هنا يمكن أن تستخدم للانباء عما سيحدث فى المستقبل •

ولما كانت أحداث الاحلام غير منطقية فى تتابعها وتسلسلها ، أصبح من الضرورى فرض مستويات معينة من التفسير على رموز الاحلام • ولا نعنى بذلك فرويد وأتباعه من علماء التحليل النفسى ، وانما كذلك مفسرى الاحلام من الشعوب البدائية ، والشامان ، والمشعوذين ، والنساء العجائز والعرافين • فسقوط سنة فى الحلم يعنى أن الاسرة سوف تفقد أحد أفرادها ، والسبع بقرات السمان والسبع بقرات العجاف تعنى سبع سنوات من الرخاء وسبع سنوات من الشدة ••• الخ •

ومن أشهر كتب تفسير الاحلام فى مصر كتاب ابن شاهين وكتاب ابن سيرين ، والاخير تلميذ السابق(١) • وقد لاحظ وليم لين أن المصريين

---

(١) انظر ، وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

ـ حتى المتعلمين منهم ـ يستشيرون هذين الكتابين بثقة كاملة فيما يقدمان من تفسيرات •

وإذا راجعنا كتابا كمؤلف ابن سيرين لوجدنا تفسيرا لدلالات رؤية كل شيء ، فكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية لها دلالة معينة • من ذلك الصواعق ، والسحاب ، والمطر ، والرعد ، والبرق ، والرياح ، والنجوم المختلفة بأسمائها وأشكالها ، والقمر بحالاته المختلفة ، والشمس ••• الخ • ورؤية كل صاحب حرفة أو مهنة لها دلالة خاصة ـ متميزة ، من هذا مثلا : الخباز ، والطحان ، والقصاب ، والطيان (بانى البيوت بالطين) ، والخياط ، والصياد ، والطبيب ، والصباغ ، والساحر ، والسقاء ••• الخ • ورؤية الامور الغيبية والأخروية فى الحلم لها دلالة خاصة فى كل حالة ، من هذا رؤية الجنة وأحوال الانسان فيها ، ورؤية النار ، ورؤية القيامة ، ورؤية الموتى ، ورؤية خروج الناس من قبورهم، ورؤية علامات الساعة ••• الخ • ورؤية الانبياء لكل واحد منهم دلالة معينة(٢) ، وكذلك رؤية الصحابة ، والملائكة ••• الخ • وبالاختصار فان

---

(٢) وفى هذا ـ مثلا ـ يقول ابن سيرين : « ... رؤيا الانبياء صلوات الله عليهم احد شيئين اما بشارة واما انذار . ثم هى ضربان أحدهما أن يرى نبيا على حالته وهيئته ، فذلك دليل على صلاح صاحب الرؤيا وعزه وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ، والثانى يراه متغيرا عابس الوجه ، فذلك يدل على سوء حاله وشدة مصيبته ، ثم يفرج الله عنه أخيرا ... فان رأى كأن قتل نبيا دل على أنه يخون فى الامانة وينقض العهد » . ابن سيرين ، تفسير الاحلام الكبير، الباب الثانى ، ص ٢٨ . ثم يعود بعد ذلك دلالة رؤية كل واحد من الانبياء على حدة : « .. فمن رأى أيوب عليه السلام ابتلى فى نفسه وماله وأهله وولده ، ثم يعوضه الله من كل ذلك ويضاعف له » . « ومن رأى سليمان عليه السلام رزق الملك والعز والعلم والفقه ، فان رآه ميتا على منبر أو سرير ، فانه يموت خليفة أو أمير أو رئيس لا يعلم بموته الا بعد مدة » . ابن سيرين ، نفس المرجع ، ص ٣٠ ـ ٣١ . ويلاحظ القارىء أن نموذج رؤية سيدنا سليمان يعكس دراية المؤلف بواقعة موته كما جاءت فى الكتاب المقدس ، حيث مات وهو جالس على عرشه ، لم يكتشف أحد حقيقة موته الا بعد سنين ، بعد أن تآكلت العصا التى كان يستند عليها .

ويرجع القارىء الى استعراض دلالات رؤية بقية الانبياء .

رؤية كل شيء موجود أو غائب له دلالة محددة ومعروفة فى كتب تعبير الرؤيا • وليس التعبير مجرد مقابل بسيط ، وانما نجد أن رؤية قطع الملابس كل على حدة ودلالة كل واحدة منها فى ذاتها ، وحسب الحالة التى تظهر عليها : ــ كلون قطعة الملابس ، وجدتها أو قدمها ، وطولها أو قصرها ، وتمزقها أو سلامتها ، ونوع القماش المصنوعة منه ••• الخ •

ويرى المعتقد الشعبى أن الاحلام ليست أمرا حديث العهد ، أو هى بدعة خاصة بعصر دون آخر ، أو شعب دون شعب ، ولكنها ملازمة للجنس البشرى منذ آدم أبى البشر • ويحكى ابن سيرين رؤيا آدم لخلق أم البشر حواء التى تمناها على الله ، ثم شاهدها فى المنام ، ورآها حقيقة بعد ذلك مصداقا لرؤياه • « ••• عن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنك قد نظرت فى خلقى فهل رأيت لك فهم شبيعها • قال لا يارب ، وقد كرمتنى وعظمتنى ، فاجعل لى زوجا تشبهنى أسكن اليها حتى توحدك وتعبدك معى • فقال الله تعالى له : نعم • فألقى عليه النعاس ، فخلق منه حواء على صورته ، وأراه فى منامه ذلك وهى أول رؤيا كانت فى الارض • فانتبه وهى جالسة عند رأسه ، فقال له ربه يا آدم ما هذه الجالسة التى عند رأسك ، فقال له آدم الرؤيا التى أريتنى فى منامى يا الهى »(٣) •

ولا شك أن هذا الايمان بدلالة الاحلام وقدرتها على الانباء بالمستقبل لم تكن تقتصر على العامة فقط ، وانما انتشرت بين كل فئات المجتمع • وتحت أيدينا عشرات من الشواهد من كتب التاريخ المصرى الشهيرة التى تبنت هذا التصور ، وأثبتت وقائع من هذا النوع جرت لبعض حكام مصر المسلمين ، وغير المسلمين ، وهى وقائع تتعدى فى بعض الاحيان النطاق الشخصى لصاحب الرؤيا لكى تكتسب أهمية سياسية بعيدة المدى •

---

(٣) انظر ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

فكثير من الملوك ــ كما يحكى لنا المقريزى فى خططه ــ يكتشفون محاولات لاغتيالهم فى الاحلام التى يرونها ، فيعرفون طبيعة المؤامرة ، والقائمين بها ، وموعدها ... الخ . (انظر المقريزى ، الخطط والآثار ، الجزء الثانى ، الفصل ٨٢ ، ص ١٥١) . بل يذهب الى أبعد من هذا عندما يورد بعض القصص عن ملوك تلقوا بعض الخطط الحربية والتوجيهات العسكرية فى أحلامهم ، وبعد اليقظة نفذ تلك التوجيهات وكسب المعركة بالفعل(٤) .

ويقوم التفسير الشعبى للحلم على الاعتقاد بأن روح النائم تطير (أو تغادر الجسد) أثناء النوم ، وتتجول وترى الاحداث المكونة للحلم، فاذا رجعت الى البدن تذكرت ما رأته . غير أنه اذا حـدث للروح شىء أثناء تجولها ، فان النائم قد لايستيقظ بعدها (أى يموت) . ولذلك يجب ألا يوقظ النائم بغلظة وعنف ، خوفا من أن يكون فى حالة حلم وقت ذاك ، ولا تتمكن روحه من العودة الى جسمه (فيموت)(٥) .

---

(٤) يحكى المقريزى فى خططه عن الملك قسطنطين انه : « رأى فى منامه كواكب فى السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمـل هذه العلامة تنتصر على عدوك . فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده ، وسار لحرب مكسيمانوس برومية فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية » . المقريزى ، الخطط والآثار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٨٣ .

(٥) ليس هذا التصور قاصرا على الثقافة الشعبية المصرية . فزنوج غرب افريقيا يعتقدون أن للانسان أكثر من روح واحدة ، وقد كان هذا المفهوم أحد المعتقدات التى انتقلت أيضا فيما بعد الى العالم الجديد ، وانتشرت بين أبنائه . فيعتقد الناس فى داهومى ــ مثلا ــ أن للانسان أربع أرواح ، ذات نوعيات مختلفة وأهمية متفاوتة ، ووظائف متنوعة . أما النساء والاطفال فلكل فرد منهم ثلاثة أرواح فقط . ويعتقد شعب الايوى Ewe والشعوب الناطقة بالتشيى Tschi-speaking فى غرب افريقيا أن « روح الحلم » تنام عندما يكون الشخص مستيقظ ، أما عندما ينام فانها تغادر الجسم ، وتتجول حسبما يقودها الحلم ، وتذهب بعيدا لتلتقى « بأرواح الاحلام » الخاصة بأشخاص آخرين . وعندما يستيقظ الشخص تعود روح الحلم الى جسمه من جديد . ولذلك فالخطورة الكبرى تتأتى اذا ما قوطع الحلم ، أو أوقظ الشخص النائم =

والرؤيا أنواع منها الصادق ومنها الكاذب ، هذا اذا كان لها مضمون واضح ومحدد للرائى ، أما اذا تعذر فهمها أو بلغ مضمونها قدرا بعيدا من التشتت والتشوه فانها تدخل فى عداد أضغاث الاحلام ، أو تكـون نوعا من الكوابيس (الاحلام المزعجة بصفة خاصة) • ويفسر ابن سيرين أنواع الرؤى الى اثنين حسب المنشأ الذى سببها ، النوع الاول هـو الصالح (أو الصادق) وهو من الله تعالى ، والنوع الثانى هو الباطل (أو الكاذب) وهو من الشيطان (ابن سيرين ، تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ٣) •

على أن هناك بعض الشواهد والمؤشرات التى يتوقف عليها صدق الرؤيا من عدمه • فالوقت الذى تتم فيه الرؤيا له تأثير على صـدقها أو بطلانها : « ان أصدق الرؤيا ما كانت فى نوم النهار أو نوم آخر الليل • فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصـدق الرؤيا ما كان فى الاسحار • وروى أنه قال أصدق الرؤيا رؤيا النهار ، لان الله تعالى أوحى الى نهارا » (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٢٤) • ويسوق أصحاب كتب تفسير الاحلام شواهد عديدة من القرآن الكريم على صدق الاحلام وتحققها فى الواقع ، وأشهر نماذج فى هذا الصدد رؤيا سيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف •• الخ(٦) •

= فجأة ، وذلك خوفا من ألا تتمكن « روح الحلم » من العودة الى الجسم مرة أخرى . فاذا استيقظ النائم بدونها فسوف يصاب بالمرض ، واذا لم تعد الى الجسم ، فانه سيموت حتما . والساحر أو المشعوذ فقط هو الذى يعرف كيف يعيد « روح الحلم » التائهة الى جسم صاحبها من جديد ، كما يسترد صحته ويشفى . انظر مادتى Dreams and Dream Soul فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٣٢٥ . وانظـر كذلك احمـد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٣ ، ص ١٧٦ .

(٦) من هذا مثلا : « ... مما يـدل على تحقيق الرؤيا فى الاصـل أن ابراهيم عليه السلام رأى فى المنام ذبح ابنه ، فلما استيقظ ائتمر بما أمره به فى منامه » ... « ثم رؤيا يوسف عليه السلام وهى الكواكب والشمس والقمر ، =

كذلك يتوقف صدق الرؤيا على سمات الرائى نفسه ، أن كان صادقا فى حياته أو كاذبا ... الخ . فالانسان الصدوق تصدقه رؤياه . أما من كان كذابا فى حديثه ويحب الكذب فتكذب عامة رؤياه . أما « من كان كذابا ويكره الكذب من غيره فتصدق رؤياه لذلك » (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١٤) .

وفى أحيان أخرى تتوقف درجة صدق الرؤيا على ظروف الشىء الذى يراه . « ... فاذا كانت الشجرة عند حملها ثمارها ، فان الرؤيا فى ذلك الوقت مرجوة قوية فيها بطء قليل . واذا كانت الرؤيا عند ادراك ثمر الشجر ومنافعها واجتماع أمرها ، فان الرؤيا عند ذلك أبلغ وأنفذ وأصح وأوفق . واذا أورقت الشجرة ولم يطلع ثمارها ، فان الرؤيا عند ذلك دون ما وصفت فى القوة والبقاء دون الغاية . واذا سقط ورقها وذهب ثمرها فان الرؤيا عند ذلك أضعف » . (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١٥).

والوظيفة الثقافية الاساسية للحلم هى التنبؤ بالمستقبل أو التماس توجيهات بشأنه ، ومعرفة الغيب ، والاطلاع على المجهول(٧) . ويتخذ أغلب شعوب العالم من الاحلام نذيرا أو بشيرا بما سيقع لهم فى مستقبل أيامهم ، وأخشى ما يخشاه الانسان تلك العلامات التى تنبىء بوقوع حالة وفاة أو قرب حلول كارثة(٨) . والرؤيا قد تكون وسيلة لتحقيق أغراض أبعد من هذا ، ففيها يمكن أن يقدم أحد الشخصيات الدينية العلاج

= فقال لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . فعرف يعقوب تأويل الرؤيا ، وخشى عليه اخوته ، فالقمر أبوه والشمس أمه ، والكواكب اخوته » ، ابن سيرين ، تفسير الاحلام ، ص ص ٢٠ — ٢١ .

(٧) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، وكلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، الجزء الثانى ، ص ٩١ . ومادة « أحلام » فى قاموس فونك للفولكلور الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٣٢٥ .

(٨) نذكر من بينها العلاقات التالية : رؤية اللحم بكثرة ، والحلم بالماء والغرق فيه ، والحلم بالنار تحرق جزءا من جسم الانسان .

للرائى ، ويمارسه أثناء الحلم ، أى أن الامر لا يقتصر على مجرد التوجيه فحسب • ويحكى ابن سيرين : « أن سماك بن حرب كف (فقد بصره) فرأى فى منامه سيدنا ابراهيم عليه السلام مسح على عينيه ، وقال ائت الفرات فاغتمس فيه يرد الله عليك بصرك • فلما انتبه فعل ذلك ، فأبصر » (تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ٢٩) •

وقد يكون الحلم وسيلة للقاء شخص معين (كالرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أحد الاولياء ، أو أحد الموتى من الاقارب أو الاصحاب) لمجرد لقائه ، أو لسؤاله عن شىء ، أو طلب قضاء حاجة معينـــة • ومن أبرزها طلب الشفاء من الرسول فى المنام ، وسؤاله شيئا من يسر الحال (ابن سيرين ، ص ٣٣) ، أو سؤاله أمرا من أمور الآخرة(٩) •

والاحلام عموما من أشهر الطرق وأكثرها انتشارا التى يظهر فيها الموتى للأحياء يشيرون عليهم فى أمور حياتهم ، أو يسألونهم الدعاء لهم والتصدق على أرواحهم بالانفاق أو بقراءة القرآن ، أو معاملة واحد من الاهل أو الاقارب على نحو معين ••• الخ • ولذلك يمكن القـــول دون مبالغة ان الاحلام هى الوسيلة الرئيسية للقاء بين عالم المـــوتى وعالم الاحياء(١٠) • و « الاولياء المؤشرون » انما ظهروا للناس وطلبوا اقامة

---

(٩) من هذا ان ييسر له (للرائى) مشاهدة الرسول يوم القيامة ، انظر مثالا على ذلك عند الدميرى ، حياة الحيوان ، الجزء الاول ، طبعة ١٩٦٣ ، ص ٣٧ . وفى المثال سأل الرائى رب العالمين فى المقام عن وسيلة ينجو بهـــا العباد يوم القيامة : « ... روى الامام ابن حنبل أنه رأى رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة فقال ان رأيته تمام المائة لأســـألنه . فرآه تمام المائة ، فسأله ، وقال يارب بماذا ينجو العباد يوم القيامة ، فقال له من قال كل يوم بكرة وعشيا ثلاث مرات سبحان الأبدى الآبد ، سبحان الواحد الأحد.. الخ». حياة الحيوان ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص ٣٥ .

(١٠) ويحكى القاضى فى كتابه دقائق الاخبار حكاية أبى قلابة التى أنقلها بنصها لطرافتها وقوة تعبيرها وحيويته . « .. وهى ما روى انه راى فى المنام أن القبور قد انشقت وأمواتها خرجوا منها ، وجلسوا على شفير القبور ، وكان=

أضرحة أو موالد لهم فى الاحلام فقط(١١) .

ولكن الى جانب هذا كله فان الاحلام تتخذ كأداة للاستخارة حول شأن من شئون الدنيا ، تماما كما نعرف فى ميدان السحر عن الاستخارة ، أو فتح الكتاب ... الخ . وهنا يلتمس البعض عندما يأوى الى فراشه ليلا أن يوجههه الله فى المنام الى التصرف المناسب الذى يجب اتخاذه فى موقف معين أو ازاء مشكلة معينة ، أو اطلاعه على عاقبة أمر من الامور . وقد ينتظرون ردا واضحا مباشرا بالتوجيه المطلوب . أو يسألون الله أن يظهر لهم شىء أخضر أو أبيض أو ماء اذا كان العمل المنتوى (كبيع أو شراء أو زواج) مستصوبا ، أو اذا كان يتوقع له توفيقا قريبا . أو يجعلهم يرون شيئا أسودا أو أحمرا أو نارا اذا كان الشىء ضارا أو غير محمود العاقبة . ومن أجل هذا يتلو المرائى شيئا من الادعية ، أو صيغا معينة ، أو بعض آيات القرآن (خاصة الفاتحة) ، أو ينقطع عن التفكير فى أى أمر آخر من شئون حياته الى أن يغلبه النعاس(١٢) .

= بين يدى كل واحد منهم طبقا من نور . ورأى من بينهم رجلا من جيرانهم لم ير بين يديه شيئا من نور . فسألته فقلت مالى لا أرى بين يديك نورا ، فقال الميت ان لهؤلاء اولادا وأصدقاء يهدون اليهم خيرا ويتصدقون لاجلهم . وهذا النور مما يهدونه اليهم . وكان لى ابن صالح لا يدعو لى ولا يتصدق لاجلى . ولهذا لا نور لى وانا خجلان بين جيرانى . فلما انتبه أبو قلابة دعا ابنه واخبره بما رأى . فقال الابن انا تبت على يديك ، فلا أعود الى ما كنت عليه أبدا فاشتغل بالطاعة والدعاء والتصدق على أبيه » . انظر عبد الرحيم بن احمد القاضى ، دقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار ، مكتبة الجمهورية العربية ، د . ت . ، القاهرة ، ص ١٤ .

وهناك حالات وقصص صارخة عن هذا حيث يظهر الاب أو الام لينهى الابن أو البنت عن الاقتران بشخص معين ، أو يأمره بتطليق زوجته .. الخ .

(١١) انظر الباب الاول الخاص بالاولياء .

(١٢) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ .

ثانيا ــ قواعد تعبير الرؤيا :

تعبير الرؤيا من أقدم الفنون الانسانية وأكثرها ازدهارا وأثراها بالتصورات والافكار والمعتقدات • وما من كتاب من كتب الاديان ، أو الكتب الشعبية أو غيرها من تراث العصور القديمة الا واحتفل احتفالا كبيرا بتعبير الرؤيا • ولن نستطيع أن نقدم عرضا شاملا للمبادىء الاساسية للتفسير ، وسوف نكتفى بشريحة بسيطة تدل على الموضوع ، وتلقى الضوء على جوانبه المختلفة ، وتحفز وتوجه الى مزيد من البحث •

والقاعدة الاولى فى تعبير الرؤيا ألا قاعدة عامة ، بمعنى أن المبادىء والاسس التى سنحددها قد تستخدم بصيغتها تلك ، وتقدم ، ويستخدم نقيضها فى التفسير • وفى ذلك يقول ابن سيرين : « •• أما تأويل الرؤيا أو الاحلام قد يكون مرة من لفظ الاسم ، ومرة من معناه ، ومرة من ضده ، ومرة من كتاب الله تعالى ، ومرة من الحديث ، ومرة من المثل السائر والبيت (بيت الشعر) المشهور » • (تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، صفحة ٩) •

ففيما يتعلق بالتعبير بالاصل أم باللفظ ، يسرد لنا ابن سيرين نماذج لمحاولات تفسير (صحيحة) فسر صاحبها مرة بالاصل ومرة باللفظ • ففى مثال الاسنان الذى نذكره فيما يلى اذا فسر المفسر باللفظ ــ بالنسبة لشخص رأى فى المنام أسنانه وقعت ــ فمعنى ذلك أنه سيفقد كل أسنانه قبل أن يموت • فالاسنان فى هذه الحالة تعنى لفظ الاسنان فعلا • أما اذا فسر المفسر بالاصل ، بالنسبة لنفس الرؤيا ، فأصل الاسنان هو القرابة • عندئذ يكون معنى الحلم أن هذا الشخص سوف يفقد كل أقاربه أو سيقاطعهم(١٣) •

---

(١٣) « حكى عن شريك بن أبى شمن قال رأيت أسنانى فى النوم وقعت فسألت عنها سعيد بن المسيب ، فقال أو أساءك ذلك . ان صدقت رؤياك لم =

ومن قواعد التعبير الاخرى أن يكون التفسير من واقع المعنى الظاهر الوارد فى الحلم ، وقد يكون بالضد • ويعنى التأويل بالضد أن رؤية البكاء فى الحلم تعنى الفرح ، ورؤية الضحك تعنى الحزن • (المرجع السابق ، ص ١١) •

وهناك تفسير بالمقلوب مثل : « قولهم فى الطاعون انه حرب ، وفى الحرب انه طاعون ، وفى السيل انه عدو ، وفى العدو انه سيل ، وفى أكل التنين انه ندامة • وفى الندامة أنه أكل تنين » • (المرجع السابق)

وقد يكون التعبير بالزيادة أو بالنقص ، أى أن الشىء المشاهد فى الحلم يختلف مدلوله فى القلة عن الكثرة ، والعكس بالعكس :

* فالبكاء فرح ، فان كان معه رنة كان مصيبة •
* والضحك حزن ، فان كان تبسما كان صالحا •
* والدهن اذا أخذ منه بقدر فانه زينة ، وان سال على الوجه فانه غم ، وان كثر على الرأس كان مداهنة للرئيس •
* من يرى أن يده قطعت وهى معه فانه يستفيد أخا وولدا •
* فان رأى أن يده قطعت وأنها قد فارقته وسقطت فانها مصيبة له فى أخ أو ولد •
* واذا رأى المريض أنه صحيح يخرج من منزله ولا يتكلم فمعنى ذلك أنه سيموت •

= يبق من أسلافك أحد الا مات قبلك . فعبرها سعيد باللفظ لا بالاصل ، لان الاصل فى الاسنان أنها القرابة .. وحكى عن بشر بن أبى العالية قال سألت محمدا عن رجل رأى كأن فمه سقط كله . فقال هذا رجل قطع قرابته ، فعبرها محمد بالاصل لا باللفظ ... وحكى عن الاصمعى قال اشترى رجل أرضا فرأى أن ابن أخيه يمشى فيها فلا يطأ الا على رأسى حية . فقال ان صدقت رؤياه لم يغرس فيها شىء الا حيى » . ابن سيرين ، تفسير الاحلام الكبير ، ص ٩ .

* وان رأى نفسه أنه صحيح يخرج من منزله ويتكلم فانه سيبرأ • (انظر مزيدا من الشواهد عند ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١١) •

ومن قواعد التعبير الاساسية أن يدرك المفسر أبرز حصيلة التراث من قصص الانبياء وأمثالهم وأقوال الحكماء ونوادرهم ، ومعرفة أخبار الرسول وأمثاله فى التأويل ••• الخ • وقد مرت بنا بعض النماذج فى هذا الفصل التى فسر فيها بالاشارة الى قصة سيدنا سليمان ، أو سيدنا يعقوب ، أو يوسف ••• الخ(١٤) •

ولا يقتصر التعقيد عند هذا الحد ، بل الاهم من ذلك أن تعبير الرؤيا ، بل وطبيعة الاشياء التى سوف يراها صاحب الحلم يتوقف على ظروف الرائى نفسه من أكل وشرب ومنام وخلافه • فسلامة هذه الامور تؤدى الى انتظام الرؤيا ووضوحها ، والعكس يؤدى الى تشويشها وعدم وضوحها •

---

(١٤) يقول ابن سيرين فى كتابه الجامع تفسير الاحلام الكبير : « واعلم أن أصل الرؤيا جنس وصنف وطبع ، فالجنس كالشجر والسباع والطير وهذا كله الاغلب عليه أنه رجال ، والصنف أن يعلم صنف الشجرة من الشجر وذلك السبع من السباع ... والطبع أن تنظر ما طبع تلك الشجرة فتقضى على الرجل بطبعها ... » ويضيف : « وان كان طائرا علمت انه رجل ذو أسفار كحال الطير ثم نظرت ما طبعه فان كان طاووسا كان رجلا أعجميا ذا جمال ومال وكذلك اذا كان نسرا كان ملكا وان كان غرابا كان رجلا فاسقا غادرا كاذبا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ولان نوحا عليه السلام بعث به ليعرف حال الماء أنضب أم لا ، فوجد حيفة طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع فضرب به المثل وقيل لمن أبطأ عليك أو ذهب فلم يعد اليك غراب نوح » . انظر الكتاب المذكور ص ص ١٣ ، ١٤ .

وفى هذا الصدد كذلك يقول المقريزى : « وقيل انه (أحمد بن طولون) لما فرغ من بنائه ، رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله ، فلما أصبح قصى رؤياه فقيل له أبشر بقبول الجامع لان النار كانت فى الزمن الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قابيل وهابيل » . راجع المقريزى ، الخطط والآثار ، الجزء الرابع ، ص ٣٩ .

بل ان معرفة الزمن الذى ستصدق فيه الرؤيا يتوقف على طبيعة الاشياء التى يراها الشخص فى منامه • فرؤية الملاك فى صورة شيخ دليل على أن تلك الوقائع تجرى فى الزمن الماضى ، ورؤيته فى صورة الشبان دليل على أن تلك الوقائع تجرى فى الزمن الحاضر ، ورؤيته فى صورة صبى دليل على أن الوقائع سوف تحدث فى الزمن المستقبل • (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٣٧)(١٥) •

ثالثا ــ شخصية المفسر :

ولكن ما هو المخرج من هذا التيه العظيم ، كيف يمكن التوصل الى حقيقة التفسير السليم ، هل بالاصل أم باللفظ، هل بالزيادة أم بالنقصان، هل بالظاهر أم بالضد ••• الخ • ان صمام الامن ومحور الارتكاز فى هذا الموقف هو المفسر أو المعبر (كما تسميه كتب الاحلام) •

فالمفسر فى جميع الثقافات شخص له سمات معينة ، منها على سبيل المثال : التقوى والصلاح وحسن الصلة بالله •• الخ مما سنفصل القول فيه • وفى كل مجتمع أفراد معينون يحترفون تعبير الرؤيا أو يحتكرون هذا العمل على الاقل (بمعنى أنهم قد يقومون به محبة للناس وتطوعا ولا يؤجرون عليه) ، أو اشتهر عنهم التفسير الصحيح للاحلام ، فتجد الناس تلجأ اليهم ، وتحكى لهم أحلامهم • ولذلك كان من أهم صفات

---

(١٥) على أننا نجد وسط هذا الخضم من الاحتمالات المتنافرة المتضاربة مع ذلك بعض المبادىء الثابتة . فهناك بعض الشخصيات والاشياء التى لا تكذب فى المنام .. فالنبى صلى الله عليه وسلم لا يتمثل به فى المنام شيطان ، وان من رآه فقد رآه حقا . وان الميت فى دار حق فما قاله فى المنام فحق • وكذلك الطفل الذى لا يعرف الكذب ، وكذلك الدواب وسائر الحيوان الاعجم اذا تكلم فقوله حق ... وكل كذاب فى اليقظة كالمنجم والكاهن فكذلك قوله فى المنام كذب ، وان الجنب والسكران ومن غفل من الجوارى والغلمان قد تصدق رؤياهم فى بعض الاحيان وان تسلط الشيطان عليهم بالاحلام فى سائر الزمان • راجع ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٤ .

المفسر حفظ أسرار زواره ، كالطبيب يحفظ سر مرضاه ولا يبوح به لاحد تحت أى ظرف • « ومن خصائص العابر أو المفسر أنه يحتاج الى أن يكون كما وصفوه أديبا ذكيا فطنا تقيا عارفا بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم » (ابن سيرين ، صفحة ٧) •

وتلك الكياسة ومعرفة أقدار الناس وحالاتهم نقطة على جانب كبير من الاهمية فى عمل المفسر ، فنفس الشىء يراه شخصان فى الحلم بنفس العدد ، ولكن معناه يختلف بالنسبة لكل منهما حسب مقداره وهمته وتدينه وصلاحه • « من الناس من يرى أنه أصاب وسقا من التمر فيصيب من المال مائة درهم ، وآخر قد يرى مثله فيصيب ألف درهم ، وآخر يرى مثله فهو له حلاوة دينه وصلاحه فيه وذلك من همة الرجال وأقدارهم وايثارها أمر دينها » (تفسير الاحلام ، ص ١٤) • ويحكى ابن سيرين صراحة أن الرؤيا تتغير عن أصلها باختلاف هيئات الناس وصناعاتهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة وعلى آخر عذابا • (صفحة ١٢) •

ولكن الطريف حقا أن الرمز نفسه — كالرمانة — قد يراه أشخاص مختلفون ، ولكنه يعنى لكل واحد منهم شيئا مختلفا تبعا لمهنته ووضعه ونوعه •• الخ : (ان أقدار الناس قد تختلف فى بعض التأويل حسب اختلافها فى الحدود والخطوط وان تساووا فى الرؤيا ، فلا يجيد تعبير ذلك المرئى الذى يتفقون فى رؤيته فى المنام الا واسع المعانى متصرف الوجوه • وذلك كالرمانة — على سبيل المثال — ربما كانت للسلطان كورة يملكها أو مدينة يولى عليها يكون قشرها جدارها أو سورها وحبها أهلها • وتكون للتاجر داره التى فيها أهله ••• وقد تكون للعالم أو الناسك كتابه أو مصحفه ••• وقد تكون للأعزب زوجة بمالها وجمالها أو جارية بخاتمها (أى بكرا) » (تفسير الاحلام الكبير ، ص ٦) •

ولا تختلف الاشياء التى يراها الرائى حسب مهنته وظروفه فحسب وانما هى تختلف حسب طبيعته أيضا • فينقل ابن سيرين عن القدماء

قولهم : « من غلبت عليه السوداء رأى الاحداث والسواد والاهوال والافزاع ، وان غلبت عليه الصفراء رأى النار والمصابيح والدم والمعصفر • وان غلب عليه البلغم رأى البياض والمياه والانداد والامواج • وان غلب عليه الدم رأى الشراب والرياحين والعزف والصفق والمزامير » (ص ٧ من المرجع المذكور) •

وهناك بعض القواعد والآداب العامة التى يجب أن يراعيها المفسر وصاحب الرؤيا على السواء عند تعاملهما • أما آداب صاحب الرؤيا ألا يقصها على حاسد ، ولا يكذب فيها ، ويقصها على حبيب أو لبيب • ويقصها سرا ولا يقصها على صبى أو امرأة • والاولى أن يقصها فى اقبال السنة وفى اقبال النهار دون ادبارهما • ولا يجوز لصاحب الرؤيا أن يكذب فى سرد ما رآه ، فان الكاذب على منامه مفتر على الله تعالى ، وأن الرائى لا ينبغى له أن يقص رؤياه الا على عالم أو ناصح أو ذى رأى من أهله • (ابن سيرين ، تفسير الاحلام ، ص ٢٤ ، وص ص ٣ — ٤) •

أما آداب المفسر فمنها « أن يقول : خيرا رأيت • وقد روى عن الرسول محمد أنه كان اذا قصت عليه رؤيا يقول خيرا تلقاه وشرا توقاه ، وخيرا لنا وشرا لاعدائنا ، الحمد لله رب العالمين ، أقصص رؤياك » (المرجع السابق ، ص ٢٥) • وعلى المعبر أن يحسن الاستماع الى الرؤيا ثم يفهم السائل الجواب • ومن آداب المعبر أن يتأنى فى التعبير ولا يستعجل به ••• ومنها أن يكتم عليه رؤياه فلا يفشيها ، فانه أمانة • ويتوقف فى التعبير عن طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب(١٦) • ومنها — ما أشرنا اليه سابقا — من أن يميز بين أصحاب الرؤيا فلا يفسر رؤيا السلطان حسب رؤيا الرعية ، فان الرؤيا تختلف باختلاف أصحابها •

---

(١٦) ومن جانب صاحب الرؤيا يكره أن يقص الرؤيا على أحد يوم الثلاثاء لانه يوم اهراق الدماء ويوم الاربعاء لانه يوم نحس مستمر ولا يكره سائر الايام . ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(ابن سيرين ، المرجع السابق) • واذا أحس المفسر بعدم القدرة على تفسير الرؤيا المعروضة عليه ، فيجب أن يقول (كما كان يقول الرسول) « خير لك وشر لأعدائك ، خير تؤتاه وشر تتوقاه •• خير لنا وشر لعدونا ، خير نؤتاه وشر نتوقاه ، والخير لنا والشر لعدونا » • (المرجع السابق ، ص ٤) •

على أن المفسر قد لا يقتصر دوره على انتظار من يحضر اليه من الاهل أو الاصدقاء والعملاء ليحكوا له أحلامهم ، وانما يمكن أن يقصد صاحب حاجة أحد الرجال الصالحين المشهور عنهم صدق الرؤيا ، ويحكى له همومه التى تقلقه ، ويطلب منه أن يرى لها جوابا فى الرؤيا • فالرؤيا هنا توظف محل عملية الاستخارة ، أو هى هنا عملية استخارة بالفعل ، ولكن الشخص لا يقوم بها لنفسه كما أشرنا فى موضع سابق من هذا الباب ، وانما يكلف بها شخصا آخر يقوم بها نيابة عنه(١٧) •

رابعا ــ طلب الرؤيا الصالحة والتصرف ازاء الرؤيا المكروهة :

ازاء تلك الاهمية الكبرى التى ينسبها المعتقد الشعبى للرؤيا ، تروى كتب الاحلام بعض الصيغ والادعية التى يحسن بالشخص أن يرددها قبل نومه لكى يعطيه الله « رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة نافعة غير ضارة حافظة غير ناسية » كما يدعو الله أن يجنبه « سوء الاحلام وتلاعب الشيطان به فى اليقظة والمنام » (ابن سيرين ، ص ٢٣) •

أما اذا حدث ورأى الشخص فى منامه ما يكره فان عليه أن « يتحول

---

(١٧) يحكى احمد امين فى قاموسه عن احد التجار الكبار كان خاصمه دائنوه ، ورفعوا عليه دعوة بالافلاس ، فذهب الى احد الفقهاء المشهورين بصدق الرؤيا ، فحلم ذلك الفقيه انه سيحكم للتاجر بالبراءة . وقد حدث ذلك بالفعل ، حيث حكمت المحكمة برفض دعوى الافلاس . والشواهد على ذلك من خبرتنا الخاصة فى مدينة القاهرة ، وبعض محافظات الدلتا . انظر احمد امين ، قاموس العادات والتقاليد ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ .

عن جنبه الذى نام عليه الى الجنب الآخر ، ويتفل عن يساره ثلاثا ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويقوم فيصلى ، ولا يحدث أحد برؤياه » (المرجع السابق ، ص ٢٤) .(١٨)

ومن الرؤى السيئة أضغاث الاحلام ، وهى أن يرى الانسان « كأن السماء صارت سقفا ويخاف أن يقع عليه وأن الارض رحا تدور ، أو نبت من السماء أشجار ، وطلع من الارض نجوم ، أو تحولّ الشيطان ملكا ، والفيل نملة ، وما أشبه ذلك » . وتلك فى رأى ابن سيرين لا تأويل لها ، أى أنه ليس لما يشاهد فيها أى دلالة . (ص ٢٤) . ويعرف المعتقد الشعبى الممارسات التى تستهدف دفع هذه الكوابيس ، خاصة وأنه يبدو أن هناك بعض الاشخاص الذين قد تحدث لهم تلك الظاهرة بكثرة . من هذا ما نسمعه عن لبس خاتم من النحاس الاصفر لهذا الغرض بالذات . (انظر الشقيرى ، السنن ، والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ، مرجع سابق ، ص ٣٠١) . وكذلك ضرورة تجنب بعض المأكولات التى قد تؤدى بصاحبها الى أن يرى أحلاما مشوشة فى نومه ، ومن تلك المأكولات الحمص(١٩) .

---

(١٨) ويقول فى موضع آخر : « اذا رأيت فى منامك ما تكرهه فاقرأ اذا انتبهت من نومك آية الكرسى ، ثم اتفل عن يسارك ، وقل أعوذ برب موسى وعيسى وابراهيم الذى وفى ومحمد المصطفى من شر الرؤيا التى رأيتها أن تضرنى فى دينى ودنياى ومعيشتى عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره » ، تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ص ١٤ — ١٥ .

(١٩) انظر على سبيل المثال ، النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجزء الحادى عشر ، ص ١٩ .

خاتمـــة :

والآن ماذا بعد ؟ والى أى حال انتهت عمليـــة تعبـــير الرؤيا ، ان الناس لم تكف ولا يمكن أن تكف عن أن تحلم ، ولكن الى من تلجأ لتعبير رؤياها • من الواضح أن هذا المجال قد شهد تحولا قريبا من التحول الذى شهده مجال السحر ، حيث أن الكوادر المتخصصة فى تلك الفنون قـــد ضعفت وتآكلت ، فانقطع المدد من أفراد جدد • ولذلك حدث ــ كما حدث فى السحر ــ أن لجأ الناس الى طباعة كتب تعبير الرؤيا القديمة وفهرستها على نحو ييسر اســـتخراج دلالات الاشـــياء التى تشـــاهد فى الحلم ، وتداولها على نطاق واسع •

وحدث تطـــور آخر أن خصصت بعض الصحف ومحطات الاذاعة برامج ومساحات تتلقى من قرائها أو مستمعيها الاحلام التى يرونها ، ويفتش صاحب البرنامج أو محرر الصفحة عن التفسير ، ويكتبه أو يذيعه على صاحبه • وقد اعتمدت التجارب التى تابعتها خلال السبعينات على كتاب ابن سيرين(٢٠) •

ولم يفطن أصحاب تلك التجارب الى أنه لا يصح من وجهة نظـــر التراث نفسه أن يلجأ أى شخص الى كتاب مفهرس فى تعبيرالرؤيا ليبحث عن تفسير رؤياه • لان ذلك يهدم أهم ركن فى عملية التعبير وهى المفسر الصالح الذى وهبه الله بصيرة نافذة كما تقدم الحديث بالتفصيل • ثم أننا علمنا أن تفســـير رموز الرؤيا يختلف حســـب وقت الرؤيا ، ومهنـــة الرائى ، وحالته النفسية ، ومكان الرؤيا ، وسن الرائى ، وحالة تعبه أو راحته وبقية ظروف الرائى الخاصة ، وكذلك وقت التعبير نفسه •• الخ •

---

(٢٠) شارك المؤلف بنفسه فى ايقاف تجربة من هذا النوع كانت تنـــوى محطة صوت العرب أن تقدمها فى برنامج « اللقاء المفتوح » عام ١٩٧٥ . وقد استجاب المسئولون عن البرنامج والمحطة مشكورين الى النصيحة ، وأوقفوا التجربة فى بدايتها .

وهكذا رأينا بوضوح أن الرمز نفسه لا يمكن أن يؤدى نفس المعنى دائما بالنسبة لكل الناس • ولكن من الواضح أن أصحاب هذه البدع الجديدة انما يكشفون بذلك عن جهلهم بالتراث ، ويعملون من خلال وسائل اتصال ذات قدرة تأثير جبارة على نشر الخرافة والترويج لها بين الناس• وواجب المثقفين الملتزمين أن يعملوا ما وسعهم الجهد على كشف أخطار هذه الاساليب المدمرة ، التى تحمل فى ظاهرها العبث والمرح ومداعبة الجمهور وتسليته • ولكنها فى الحقيقة تمكن للخرافة فى صدور الناس ، لانها ليست اختراعا أو بدعا جديدا ، ولكنها تتصل فى بعض جوانبها بخيوط قديمة فى معتقدات الناس كانت قد بدأت تتآكل • وهم يعيدون اليها الحياة بطريقة ليس فيها خصوصية ولا تمييز ، فلا يراعون أن الرؤيا انما هى من أسرار الناس وعوراتهم • فيجب ألا يخبر المفسر بتأويلها الا لصاحبها ، ولا ينطق بها عند غيره ، ولا يحكيها عنه • فنحن ان أتينا تلك البدع لا حافظنا على تراثنا — رغم ما قد يشوبه من عيوب ونقائص أحيانا — ولا كنا أمناء على رسالة الثقافة التى حملنا المجتمع أمانة رعايتها والحفاظ عليها فى كنف العقل الحديث الرشيد •